إلى النهر الغاضب

للأستاذ محمود الخفيف

غضبتَ فسهدتَ أجفانها ... وزاد هياجك أحزانها
وقد أنستْك لطيف الأناة ... ضحوك الأسرّة فتانها
جميل الوفاء شهى الصفاء ... عريق السماحة هتانها
وفاؤك عيد يعم البلاد ... ويغمر بالخير أركانها
تهز الحقول على جانبيك ... وتملأ فيضُك غدرانها
وتذكر مصرُ إذا ما خطرت ... وسال نضارُك ، سودانها
فأنت لمصر وريد الحياة ... ولم تر غيرك شريانها
حليم عليك سماة الجلال ... تقابل بالبشر قربانها
وتلقى برفقك فى المهرجان ... وجوه البلاد وأعيانها
تود الرياض على شاطئيك ... لو انك تسمع شكرانها
وتهفو الخمائل شوقاً إليك ... فتنشر حولك أغصانها
تردد مصر أناشيدها ... وتبدأ بالمعك ألحانها
ويطربها منك حلو الخرير ... فترهف للسمع آذانها
فتلقى إليها حديث القرون ... وتحفز للمجد فتيانها
ومانسيت مهر هذا الحديث ... ولا صرفت عنه تحنانها

* * *

تجهم وجهك بعد الصفاء ... وروع بأسك سكانها
لبست الجفاء على غرة ... فآلم غدرك وجدانها
تركت الكنانة فى غمرة ... يهدد سيلك بلدانها
كأنك جيش تخطى الحدود ... وأنذر بالموت قطانها
تقيم السدود على ضفتيك ... وتحشد حولك فتيانها
تراقب موجك فى حسرة ... تجدد للنفس أشجانها
ولم أر مثل جفاء القلوب ... تفيأت من قبل رضوانها
ولا كالأساءة من راحة ... تعود كفُّك إحسانها

* * *

ترفق بمصر فقد نالها ... خطوب تزلزل بنيانها
توالت عليها عجاف السنين ... وأعمى التعابدُ رُعيانها
وذاق بنوها بأوطانهم ... صنوف العذاب وألوانها
ألم تر كيف دهاها الكساد ... وكاد يدمر عمرانها
وكيف توقف فيها النماء ... وأخرجت الأرض ديدانها
فأضحى فتاها كسير الجناح ... كئيب الملامح حزيانها
وجاس الغريب خلال الديار ... قوى المخالب يقظانها
ألم يكف يانيل هذا الشقاء ... فجئت تضاعف خسرانها ؟

* * *

تحيرت يا نيل ماذا دهاك ... وأوحى لنفسك طغيانها
أساءك من مصر هذا السكون ... فقمت تحرك شبانها ؟
وأوغر صدرك يأس البلاد ... فجئت تجدد ايمانها ؟
ورحت تكذب ظن الدخيل ... وتوقظ للجد أعوانها
تحركُ وحدك فى أمة ... أذل التفرق وحدانها
بلوت بنفسك ماضى البلاد ... وأدركت بالأمس سلطانها
وكيف تناهى اليها النبوغ ... فراحت تعلم جيرانها
تلقى من الوحى شتى الفنون ... وترفع فى الأرض ميزانها
تدب الحياة على جانبيها ... فتُثمر بالعز ولدانها
على البر تحشد أجنادها ... وفى البحر تنصر ربانها
تذكرت «أحمس» يزجى الصفوف ... ويدعو الى النصر فرسانها
و«رمسيس» يخطر فى جنده ... فخور الوا كب مزدانها
وآنست فى مصر عهد الرشاد ... وقد شمل العدل أركانها
تلقى الرسالة فى غبطة ... ولو كره الروم اعلانها
تسير الى الحق منقادة ... اليه وتخلع بهتانها
وتمسى من الأمن فى جنة ... وقد كرهت قبلُ حرمانها

* * *

أسفت لحاضرها المستكين ... وأنكرت يانيل خذلانها
كرهت هدوءك فى أمة ... أطاعت إلى اللهو شيطانها
فجن جنونك يا ابن السماء ... وقمت تنبه وسنانها
ألا فلتقر فقد بايعتك ... وسوف تقدم برهانها
ستحذو مثالك فى فعلها ... وتجعل عهدك قرآنها
ستنفض عنها غبار القرون ... وتنزع يانيل أكفانها

محمود الخفيف